

الأيقونات

المؤلف: القمص زكريا بطرس

الناشر: www.fatherzakaria.com

حروب الأيقونات

قبل أن تحارب الطائفة البروتستانتية الصور والأيقونات وتحرمها وجردت الكنائس منها كانت في الماضي في القرن الثامن الميلادي كان يوجد إمبراطور روماني اسمه لاون سنة ٧١٦ ميلادية فكر نفس التفكير وقال أن الصور والأيقونات هي عبادة أوثان واصدر أمر إمبراطوري بنزع الصور والأيقونات من الكنائس وحرقها. وتفتيش البيوت حتى عندما يجدوا أي صورة أو أيقونة في البيت تكسر على رأس صاحب البيت وظل الأمر على هذا الحال سنين طويلة إلى أن اجتمع مجمع مسكوني سنة ٧٨٧ ميلادي في نيقية ممثل فيه بطاركة وأساقفة من جميع العالم وأقروا أن الأيقونات ليست عباده أوثان ولكنها وسيلة إيضاح عن قديسين وأن الصورة تذكرنا بهؤلاء القديسين الذين عاشوا من أجل المسيح واصدروا مبادئ الصور والأيقونات من الكتاب المقدس وإنها ليست عبادة أوثان أو كفر وحدث هذا بعد ٧١ سنة من أمر لاون وعادت الصور باحتفال وإكرام كبير للكنائس وأيضاً الحركة الشيوعية في روسيا دامت ٧١ سنة بعد حرقهم للكتب المقدسة وتحريمها في روسيا وكان كل اللذين يعبدون الله أو يدخلون الكنائس كانوا يضطهدون وينفونهم في سبيريا مدى الحياة حتى الموت من سنة ١٩١٧ إلى سنة ١٩٨٨ حتى جاء غورباتشوف وأنهى عصر الشيوعية في روسيا وأعاد الكرامة للكنائس والكتاب المقدس والمسيح وذكر وقال أن أمه أيام الثورة الشيوعية كان لابد أن يعلقوا صورة ستالين في البيوت فكانت هذه الأم الحكيمة تضع الكتاب المقدس خلف صورة ستالين في طاقه (فتحه صغيره) حتى عندما يكون تفتيش في البيت يجدون صورة ستالين وكانت تأخذ الكتاب المقدس وتجلس مع أولادها ويقرؤون الكتاب المقدس ويواظبوا على الصلاة وعندما تملك ميخائيل غورباتشوف رئاسة الحزب الشيوعي أنهى عصر الشيوعية في روسيا وأنا شاهدت بنفسي في سنة ١٩٨٨ في روسيا عودة الآلاف إلى الكنائس والمعمودية يومياً عائلات كثيرة تأتي للعماد كل العائلة من الجدود حتى أصغر طفل في العائلة كلهم يأتون للعماد لأن في عصر الشيوعية لم يكن هناك عماد أي عاد الحق بعد ٧١ سنة قبل الأيقونات التي عادت بالتكريم والاحترام بعد ٧١ سنة أيضاً وهذا يظهر لنا أنه ليس من الممكن أن يضيع عمل الله وأنه قائم حتى ولو عاش مختفياً دهوراً كاملة ومحارباً ومطارداً ولكنه يعود بنصره أكيدة قوية بقوة الله (انتظراً انتظرت الرب فمال إليّ وسمع صراخي) ثم رجعت حرب الأيقونات من الطوائف ولكن الذي حدث أن الطوائف تنتهي لأنهم ضد الإيمان والعقيدة وضد الله وضد عبادته وضد الأسرار فإن كنائسهم بدأت تقفل لأن الذي يفرض في الحق ليس من الممكن أن يصل إلى النهاية لهذا نحن نكرم الأيقونات ونحترمها أي نحترم الأشخاص الموجودين فيها فكيف نعرف العذراء إن لم نرى صورتها وكل الرسل والقديسين.

أصول الصور

أصول الصور ثابتة بالآثار والتاريخ وأن القديس لوقا أحد الرسل السبعين وواحد من المبشرين الأربعة وهو الطبيب كان أيضاً رسّاماً لأن الطبيب في العصور القديمة كان لابد أن يجتاز اختبارات كثيرة في عدة اختصاصات وأهمها الفن لأن الطبيب محتاج لرسم العظام أو أي شئ في الجسم ولا بد أن يتعلم الرسم فالقديس لوقا رسم صورة للسيدة العذراء وأيضاً رسم صورة للكأس الذي عمل فيه السيد المسيح العشاء الرباني فرسم على الكأس بصورة فنية رسم فيه المسيح في الوسط وحواليه التلاميذ الأثني عشر ومن هنا أتت الصور التي نراها والملاحم الحقيقية وعلى مدى التاريخ نجد أن الصور تتكرر بهذه الملاحم ويوجد في دير السرياني في برية شيهيت في مصر توجد صورة للعذراء مريم تحمل السيد المسيح مثل التي رسمها القديس لوقا وهي من القرن الرابع الميلادي مرسومة على الحائط مباشرة وموجودة حتى هذا اليوم في الدير في الكنيسة القديمة ونحن نشكر الله من أجل أن كنيستنا حفظته لنا هذا التراث إلى اليوم ونستطيع أن نتعرف على القديسين ببساطة ونرى فيهم ملاحم المسيح والحياة التي تشهد لهذا الإيمان.

رفات القديسين

وهي عند اليهود كفر لأن أي ميت أو من يمسه يكون نجس (من يمسه يكون نجساً) من أجل هذا أن صورة الكفن المقدس لرب المجد يسوع أنه عند قيامته من الأموات طبع إشعاع لاهوته صورته على الكفن وقد رآه الكثيرون. ولأن اليهود عندهم كل شئ للميت نجساً ظل هذا الكفن مختفي سنين طويلة ولم يستطيعوا أن يقولوا أنه كفن المسيح لأنه بالنسبة لهم نجاسة وظل هذا الكفن مختفياً من مملكة إلى أخرى ومن بلد إلى آخر حتى وصل إلى تورينو في إيطاليا ولأن هذا الكفن يطبق عدة طبقات حتى يظهر وجه السيد المسيح في آخر طبقة وكان يسمى منديل المسيح ولكنه في الحقيقة هو الكفن المقدس للسيد المسيح.

كيف نكرم ونحترم رفات القديسين؟

بعض الاعتراضات تقول

كيف نكرم ونحترم ونحفظ بالعظام الميتة ويكون لها كرامة. ولكن نحن نرجع إلى الكتاب المقدس في تكريم أجساد القديسين. "ومات اليشع فدفنوه. وكان غزاة موآب تدخل على الأرض عند دخول السنة. وفيما كانوا يدفنون رجلاً إذا بهم قد رأوا الغزاة فطرحوا الرجل في قبر اليشع فلما نزل الرجل ومس عظام اليشع عاش وقام على رجليه." (٢مل ٢١: ١٣-٢٠).

هذه عظام إنسان ميت فكيف لها هذه الفاعلية وهذه الكرامة.

فنحن ككنيسة نعيش بهذا الإيمان بالله في الكتاب المقدس نتهم بأننا منحرفين لأننا نكرم أجساد القديسين.
"هوذا سرّ أقوله لكم. لا نرقد كلنا ولكننا كلنا نتغيّر" (١كو ١٥: ٥١).

"ومتى لبس هذا الفاسد عدم فساد ولبس هذا المائت عدم موت فحينئذ تصير الكلمة المكتوبة ابتلع الموت إلى
غلبة." (١كو ١٥: ٥٤).

وبهذا الأموات سوف يقومون ويأخذون جسداً غير فاسد لأن الله سوف يغير ويكرم هذا الجسد إلى جسد
نوراني مثل جسده عند قيامته من الأموات فهل نحن نحترق هذا الجسد.

إذا كان الله يحترمها ويحفظها إلى أن تتغير إلى أجساد نورانية. "ثم لا أريد أن تجهلوا أيها الاخوة من جهة
الراقدين لكي لا تحزنوا كالباقين الذين لا رجاء لهم. لأنه إن كنا نؤمن أن يسوع مات وقام فكذلك الراقدون بيسوع
سيحضرهم الله أيضاً معه. فإننا نقول لكم هذا بكلمة الرب إننا نحن الأحياء الباقين إلى مجيء الرب لا نسبق
الراقدين." (١ تس ٤: ١٣-١٥).

إذن الأموات لهم المكانة الأولى لأنهم يسبقون الأحياء عند مجيء الرب. أن كنيستنا تحترم كل إنسان دعي
عليه اسم المسيح أن كان حياً أو منتقلاً ونكرمه لأنه عضو من أعضاء جسد المسيح. لأنه يقول (فالأموات في
المسيح سيقومون أولاً).

كيف لا نقدرهم ولا نكرمهم والله نفسه سيكرمهم ويقدرهم مثل عظام الشيع النبي التي كان لها بركة لازال
عظام الأموات الذين ماتوا في المسيح يسوع. القديسين لهم نفس البركة وكثير من أجساد القديسين صنعت آيات
وعجائب كثيرة ومعجزات لأن الله لا زال يعمل فيهم وبهم ومن خلال أجسادهم التي صارت في يوم من الأيام
هيكلاً للروح القدس وستمجد أيضاً في المجيء الثاني.

لماذا لا توضع تماثيل في الكنيسة ؟

إن كنيستنا القبطية الأرثوذكسية التي نشأت في أرض مصر تقدر الصور وتصنعها لكي تكون وسائل إيضاح
أما نظرتها للتماثيل رغم إنها ليست للسجود فهي ليست خطية رغم أنه كان يوجد تماثيل للملاكين في قدس
الأقداس فوق التابوت لكن لظروف مصر الفرعونية وكثرة التماثيل التي كانت تعتبر فيها تماثيل الملوك والآلهة
لكثرة الأوثان فيها وحتى لا يختلط الأمر مع الآخر قررت الكنيسة أنه لا داعي للتماثيل في الكنيسة لربما لا
يستطيع الناس التفريق بين التماثيل المسيحية وتماثيل الآلهة الوثنية الفرعونية ولا تدخل العبادة الوثنيين القديمة

مرة أخرى فمن أجل هذا تحتفظ الكنيسة القبطية الأرثوذكسية من التماثيل ولكن الكنيسة الكاثوليكية تسمح بالتماثيل. آمين.

الصور والأيقونات

يوجد اعتراض من بعض الطوائف يقول الآية "لرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبد" وأيضاً في سفر خروج "لا تصنع لك تمثالا منحوتا ولا صورة ما مّا في السماء من فوق وما في الأرض من تحت وما في الماء من تحت الأرض. لا تسجد لهنّ ولا تعبدهنّ".

لأنني أنا الرب إلهك اله غيور افتقد ذنوب الآباء في الأبناء في الجيل الثالث والرابع من مبغضيّ". (خر ٢٠: ٤).

فكيف أنتم تسجدون للصور. هذا الاعتراض يظهر في المنطق أنه معقول ولكن القول المأثور يقول:- "أن أنصاف المتعلمين أخطر من الجهلة"

من أجل هذا إن من يعرف نص، نص من الكتاب المقدس فهذا خطر ومصيبة على حياته هو والآخرين لأن من يريد أن يعطى فتوة صحيحة لابد أن يعرف كل القوانين فالاعتراض يقول كيف تسجدون للصور في الكنائس ولكن هل منع الكتاب المقدس فعلاً السجود للصور الله الذي قال هذه الآية على الجبل وفي نفس السفر الخروج "وتصنع كروبين من ذهب صنعة خراطة تصنعهما على طرفي الغطاء. فاصنع كروباً واحداً على الطرف من هنا وكروباً آخر على الطرف من هناك من الغطاء تصنعون الكروبين على طرفيه. ويكون الكروبان باسطين أجنحتهما إلى فوق مظلّين بأجنحتهما على الغطاء ووجههما كل واحد إلى الآخر نحو الغطاء يكون وجهها الكروبين. فوقف الشعب من بعيد وأما موسى فاقترّب إلى الضباب حيث كان الله وأنا اجتمع بك هناك وأتكلم معك من على الغطاء من بين الكروبين اللذين على تابوت الشهادة بكل ما أوصيك به إلى بني إسرائيل." (١٨: ٢٥-٢٢).

كيف لقد قال اصنع لك ملاكين هل يناقض نفسه كلا ولكن في سفر خروج "وأما المسكن فتصنعه من عشر شقق بوص مبروم واسمانجوني وارجوان وقرمز. بكروبيم صنعة حائك حانق تصنعها" (١: ٢٦).

كيف تصنع الستائر عليها صور ملائكة؟ وهو الذي قال لا تصنع شيئاً من هذا. "فقال الرب لموسى اصنع لك حية محرقة وضعها على راية فكل من لدغ ونظر إليها يحيا. فصنع موسى حية من نحاس ووضعها على الراية فكان متى لدغت حية إنسانا ونظر إلى حية النحاس يحيا." (عدد ٩، ٢١: ٨).
ففي نفس السفر يؤكد أن تصنع هذا وهذا... وفي العهد الجديد أيضاً. "أيها الغلاطيون الأغبياء من رقاكم حتى لا تدعونا للحق انتم الذين أمام عيونكم قد رسم يسوع المسيح بينكم مصلوباً." (غل ٣: ١).

رسم بمعنى صورته وفي الإنجيلية معناها صورة شخص إذن الصورة موجودة في العهد الجديد إذن نرجع ونقول إذن نرجع ونقول أين لا تصنع لك صورة ولا تمثال هل تعتقد الموضوع وهل الله يقول كلام متناقض؟ فالكلام لابد أن يفهم فأني سفر الخروج قال لا تصنع لك تمثالا منحوتا ولكن صنعوا تمثالا الكروبيين وتمثال الحية النحاسية وقال لا صورة ما ولكنهم عملوا صورة المسيح مرسومه قدامهم وصورة الملائكة ولكن الهدف من هذا هو (لا يسجد لهن ولا تعبدن) لا سجود ولا عبادة للصور والتماثيل لكن معنى هذا أن لا تعملوا صورته إطلاقاً وهذا يشبه حديث في الإسلام يقول (لا تقربوا الصلاة) فهل أمر الله بعدم الصلاة ولكن بقية الحديث وأنتم سكارى فمعناها لا تصلوا وانتم سكارى وهل تماماً مثل لا تصنع لك تمثالا ولا صورته للعبادة والسجود ولم يكن هدف الله أن يمنع عمل الصورة ولكن منع العبادة لها لان الصورة والتماثيل هي وسيلة إيضاح.

مثل توزيع الصور وفي ظهرها درس لمدارس الأحد فمن الذي عمل هذه الصور؟ هم البروتستانت الذين يطبعون هذه الصور وتوزيع على الأطفال في مدارس الأحد فكيف يحرمون الصور وهم الذين يعملوها؟ يقولون لانه وسائل إيضاح ونحن نقول نعم فالصور وسائل إيضاح يردون لماذا أنتم تسجدون للصورة فهذه صورة مصنوعة من ورق أو خشب وأنتم تسجدون لها. والرد علي السجود. "وقال الرب لموسى خذ لك اعطارا. مية وأظفارا وقنة عطرة ولبانا نقياً. تكون أجزاء متساوية. فتصنعها بخورا عطرا صنعة العطار مملحا نقياً مقدساً. وتسحق منه ناعماً وتجعل منه قدام الشهادة في خيمة الاجتماع حيث اجتمع بك. قدس أقداً يكون عندكم. والبخور الذي تصنعه على مقاديره لا تصنعوا لأنفسكم. يكون عندك مقدساً للرب كل من صنع مثله ليشمه يقطع من شعبه." (خر ٣٠: ٣٤-٣٨).

يعني يبخر أمام تابوت الشهادة المصنوع من الخشب وهذه هي وصية الله ورمزها هي حضور الله في وسط شعبه لأن به كلمة الله وهي لוחي الشريعة فإنه لا يبخر للخشب ولكن يبخر الله المرموز إليه بهذا التابوت فالبخور ليس للمادة ولكن للمعنى الروحي الذي فيها فالقديسون يتميزون بشئ مهم جداً عن الإنسان العادي وهو وجود الله في حياتهم فالقديس يوجد الله فيه وعندما يبخر أمام القديسين فإننا نبخر للمسيح الساكن فيهم وأيضاً التبخير أمام الأسقف والبطريرك أو الكاهن فهو للروح القدس الساكن فيهم ويستخدمهم لأن هذا يمثل الله ويمثل المسيح فهذا إكراماً له. وأيضاً السجود نوعان:

١- سجود العبادة . ٢- سجود الاحترام

ففي سف التكوين "فقام إبراهيم وسجد لشعب الأرض لبني حث" (تك ٢٣: ٧). إبراهيم هو خليل الله كيف يسجد لبني حث ولكن سجد لهم سجود الاحترام.
"وأما هو فاجتاز قدامهم وسجد إلى الأرض سبع مرات حتى اقترب إلى أخيه." (تك ٣٣: ٣).

فهل سجد يعقوب سبع مرات لأخيه سجود العبادة ولكنه سجد له سجود الإكرام.
"فخرج موسى لاستقبال حميه وسجد وقبّله." (خر ١٨: ٧).

موسى سجد إلى يثرون وحماه وهو نفسه الذي أتى بالشرعية. ولكن سجد سجود الاحترام.

وأيضاً في قصة يوسف عندما سجد له اخوته.
"فاخبروا الملك قائلين هوذا ناثن النبي. فدخل إلى أمام الملك وسجد للملك على وجهه إلى الأرض."
(مل ١: ٢٣).

وفي العهد الجديد يأمر الله بالسجود للإنسان. "هأنذا اجعل الذين من مجمع الشيطان من القائلين انهم يهود وليسوا يهودا بل يكذبوا هأنذا أصيرهم يأتون ويسجدون أمام رجلتيك ويعرفون أني أنا أحببتك." (رؤ ٩: ٣).

فهل يأمر الله الناس أن يسجدوا ليعبدوا إنساناً آخر؟
كلا فهذا ليس سجود العبادة ولكنه سجود الاحترام والخضوع .

اعتراض آخر:

"فخررت أمام رجلتيه لاسجد له. فقال لي انظر لا تفعل. أنا عبد معك ومع اخوتك الذين عندهم شهادة يسوع.
اسجد لله." (رؤ ١٩: ١٠).

أراد أن يسجد ولكن الملاك منعه وقال له اسجد لله. لقد منع الملاك يوحنا من أن يسجد له لأجل ألا تضاع لأن الإنسان الذي فيه روح الله عندما يريد آخر أن يسجد له وهو سجود الاحترام يمنعه الإنسان من أجل ألا تضاع الذي فيه كما يوجد أسقف عام أسمه الأنبا برسوم فكان الناس الزائرين عندما يرون الأنبا برسوم يسجدوا له

وكان هو يقول لهم لا أنا لا استحق هذا فكان يسجد حتى للأرض للشخص الآخر مع كبر سنه ولكن هذا هو روح الاتضاع المسيحي الذي وضعه الله فينا وهو الذي قال (تعلموا مني لأني وديع ومتواضع القلب فتجدوا راحة لنفوسكم) فالمسيحية لا تحض على الكبرياء فإذا كان إنسان يؤدي فرض الاحترام والإكرام لشخص آخر مثل الأسقف مثلاً فيرفض الأسقف ويمنعه من أجل الاتضاع وهو لا يمنع الطقس ولكن بدافع الاتضاع يفعل هذا إذن الهدف من الآية (لا تصنع لك تمثالاً) هو سجود العبادة ولكن سجود الاحترام والإكرام فهو غير ممنوع لأن رجال الله جميعهم كانوا يحترمون صور القديسين. فالصور هي تذكرنا بالقديسين فمثلاً لولا صورة الأنبياء أبرام ما كنا عرفناه ولا نعرف العذراء إن لم نكن رأينا صورتها. والطوائف المعترضة نجد أنهم يحملون في جيوبهم صورة عائلتهم وأولادهم وهم يقبلونها فهل صورة العائلة الجسدية أقرب من الله وأحسن من القديسين فإذا كنت تستبيح أن تعمل صورة لعائلتك الجسدية فمن الأفضل أن تعمل صورة للعائلة الروحية التي أنتن عضو فيها. لا بد أن تعرف أصول كنيستنا حتى تستطيع أن تواجه بشجاعة الذين يعترضون حتى لا يحرموا من النعمة بإلغاء الصور الروحية من الكنائس وبعد ذلك تلغى الكنائس أيضاً. آمين.